

تفسير البحر المحيط

@ 150 @ يلزم منه أن كل معروف يأمر به . والظاهر أن { أَكْبَرُ } أفعل تفضيل . فقال عبد الله ، وسلمان ، وأبو الدرداء ، وابن عباس ، وأبو قره : معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه . وقال قتادة ، وابن زيد : أكبر من كل شيء ؛ وقيل : ولذكر الله في الصلاة أكبر منه خارج الصلاة ، أي أكبر ثواباً ؛ وقيل : أكبر من سائر أركان الصلاة ؛ وقيل : ولذكر الله نهيه أكبر من نهى الصلاة ؛ وقيل : أكبر من كل العبادة . وقال ابن عطية : وعندي أن المعنى : ولذكر الله أكبر على الإطلاق ، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، والجزء الذي منه في الصلاة ينهى ، كما ينهى في غير الصلاة ، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مراقبه ، وثواب ذلك الذاكر أن يذكره الله في ملاء خير من ملئه ، والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في النهي ، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله . وأما ما لا يجاوز اللسان ففي رتبة أخرى . وقال الزمخشري : يريد والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، كما قال : { فَاسْأَلُوهُ إِنْ يَخْبَرُكُمْ اللَّهُ } ، وإنما قال : { وَلَذِكْرُ اللَّهِ } ، لتستقل بالتعليل ، كأنه قال : والصلاة أكبر ، لأنها ذكر الله مما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم ، وفيه وعيد وحث على المراقبة . .
{ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا }
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ } . .
و { أَهْلَ الْكِتَابِ } : اليهود والنصارى . { إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } :
من الملاطفة في الدعاء إلى الله والتنبية على آياته . { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا } :
ممن لم يؤد جزية ونصب الحرب ، وصرح بأن الله ولداً أو شريكاً ، أو يده مغلوله ؛ فالآية
منسوخة في مهادنة من لم يحارب ، قاله مجاهد ومؤمنو أهل الكتاب . { إِلَّا الَّذِينَ }
هِيَ أَحْسَنُ : أي بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم . { إِلَّا الَّذِينَ }
ظَلَمُوا : من بقي منهم على كفره ، وعد لقريظة والنضير ، قاله ابن زيد ، والآية على
هذا محكمة . وقيل : إلا الذين آذوا رسول